ستوديو [ثقافة شعبية]

لقطة لضفة الرصافة من جانب الكرخ، حيث تبدو الساعة وأسوار القشلة وبيت الحكمة الذي كان مقراً لمجلس النواب والأعيان في العهد الملكي.

برج الطلسم في سور بغداد وقد نسف العثمانيون جزءاً منه عند اخلاء بغداد سنة ١٩١٧.

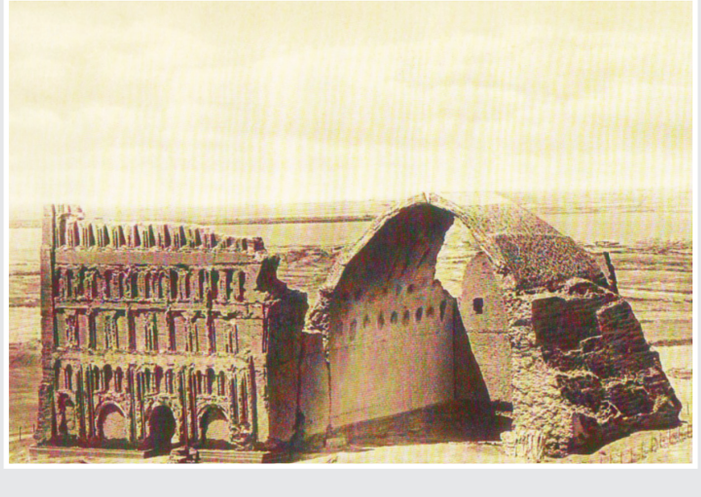

طاق كسرى وهو جزء من القصر الملكي لكسرى في مدينة (طيسفون) الذي اسماها العرب عند الفتح (المدائن) وتسمى اليوم (سلمان باك) حيث مرقد الصحابي الجليل سلمان الفارسي.

حكاية من البرازيل

ولدٌ يُدعى أويكا

ترجمة:ثقافة شعبية

كان هناك ذات يوم ولدٌ يُدعى أويكاUaica ، ولأنه كان صغيراً و متوعك الصحة، راح أولاد قبيلته يزعجونه ويضايقونه، وكان لديه جدٌ ظل يحاول أن يحميه لكن حين لا يكون الجد موجوداً، كان أويكا يذهب وحيداً إلى داخل الغابة المطرية.

فكانت الأشجار تنشر فوقه مظلة خضراء وتتدلى من فروعها داليات مزهرة متألقة تملأ الهواء بروائح عطرة عذبة، وكانت الطيور تغرد فكان أويكا يشعر بالسعادة والرضا بأصدقائه الحيوانات.. وفي يوم من الأيام وكان يسير في الأحراش ويتطلع إلى مظلة الأوراق الجميلة، وبساتين الفاكهة، والقرَدَة والطيور، تعثّر بشيء ما.. وحين نظر إلى الأسفل، أصيب بالدهشة لرؤيته واحداً من حيوانات التابير tapir الذي بدا له.. نائماً وكان إلى جواره تماماً كسلان، نائم أيضاً، وعلى بعد خطوات قليلة من ذلك، وجد المزيد من الحيوانات-قرَدَة، وتمساحاً، وعائلة فهد أمريكي وحتى أفعى أناكوندا ضخمة- وجميعها نائمة.. تماماً، مستلقية عند قاعدة شجرة.

كان هذا أمراً غريباً، غريباً جداً.

وراح أويكا يخطو بحذر شديد هنا وهناك حول الحيوانات النائمة لينظر عن قرب أكثر إلى الشجرة، لكن وهو يفعل هذا، شعر فجأة بنعاس قاهر وأحس بتثاؤب قوي يسيطر عليه ثم، فجأة ،صارت ساقاه كالمطاط واسترخى منطرحاً على الأرض وراح في نوم عميق وما إن نام حتى راح يحلم.. حلمَ بحيوانات بعضها مألوف لديه وأخرى غريبة، كما حلمَ بأناس كان بعضهم من الأسرة والأصدقاء وآخرين غرباء كانوا يجلسون معاً يغنّون.. ثم نهض في حلمه رجلٌ عجوز وجاء إليه.. قال:

- : « أنا سيناء Sina-a، طفل الفهد".

وكان الولد يعرف شيئاً عن هذا الرجل الفهد الذي يُقال أنه كان في قومه معلماً عظيماً وعندما بدأ سيناء يروي قصصه، راح الولد يُصغي فعرف كيف سرق الرجل الفهد النارَ من النسر، وكيف صنع النباتات الغذائية من رماد أفعى ميتة، وحتى كيف أنه ولوحده امتلك ذات مرة كل الليل على الأرض في وقت يوم أبدي.

وعندما أستيقظ أويكا، كانت الشمس قد غربت، وكانت الدنيا مظلمة تقريباً، وقد اختفت الحيوانات وكان لوحده فراح يركض إلى البيت في الليل المتلاشي.

وفي الصباح التالي بالضبط قبل الفطور، كان أويكا متشوقاً للعودة إلى الغابة فوجد الشجرة الكبيرة مرة أخرى، وكما في السابق، غلبته غيبوبة قاهرة وسقط على الأرض وراح.. في نوم عميق وكان الأمر نفسه كما حصل من قبلُ، مع كل تلك الحيوانات، والغناء.. ومرةً أخرى جاء إليه الرجل الفهد وراح يحكي له قصصاً، وكما في السابق، استيقظ أويكا عند الغروب، عائداً إلى البيت وكان الوقت متأخراً كثيراً عليه لأن يأكل شيئاً.

وتكرر ذلك لأيام كثيرة، إذ يغادر أويكا في الصباح قبل الفطور ويعود متأخراً بعد وجبة العشاء فلم يكن يأكل وهكذا أخذ ينحف.. وفي حلمه، لاحظ سيناء، الرجل الفهد، هذا، فال:

- « يا ولدي، إنك تنحف كثيراً. لقد أريتك الكثير من عالمي، لكن الآن يجب أن تبقى بعيداً.. فلو عدتَ ثانية، فإنك يمكن أن لا تغادر أبداً».

وافق أويكا.. وحين عاد الولد إلى القرية، كان جائعاً وكان لدى جده طعام له، قال له:

- «إلى أين أنت تذهب؟ تغادر مبكراً، قبل وجبة الصباح وتعود حين لا يكون قد بقي طعام هناك».

وانكشفت القصة، بشأن الشجرة والحيوانات والقصص التي يحكيها الرجل الفهد.

وفي اليوم التالي أخذ جدّه إلى داخل الغابة، إلى مكان الشجرة العظيمة.

- «هناك أيها الجد.. إمشِ تحت تلك الشجرة وستبدأ رحلتك هناك».

لكنه، وفي باله كلمات الرجل الفهد، ظل أويكا حريصاً على البقاء بعيداً.

وسرعان ما راح جده يغط في نوم عميق، ولم يمر وقت طويل، حتى تجمعت الحيوانات من حوله، وانطرحت نائمةً هي الأخرى، وقد أحس أويكا بإغراء شديد للالتحاق بجده والحيوانات الحالمةً هناك تحت الشجرة لكنه تذكّر تحذير الرجل الفهد وبقيَ بعيداً.

نام جده لوقت قصير فقط.. وحين صحا بدا منزعجاً وقال:

- ينبغي ألاّ تُخبر أحداً عن هذه الشجرة الحالمة.

إنها قوية جداً والذين ينامون تحتها يجب أن يكونوا أقوياء جدا بقوتهم هم من الغابة عميقا في قلوبهم، فإذا لم يكونوا أقوياء في قلوبهم بالخير فإنهم سيأخذون هذه المعرفة من الشجرة الحالمة لمصلحة قوتهم ويمكنهم أن يرتكبوا شراً.. إنك قوي روحاً يا أويكا، والآن عليك أن تأكل لتكون قوياً من الناحية البدنية أيضاً، وإنه الوقت المناسب لتبقى بعيداً».

وهكذا وعده أويكا بأن لا يعود.

وحين رجعا إلى القرية، سمعا أن ولداً يُدعى زيبوت Xibute قد سقط مريضاً، وكان أويكا يعرف زيبوت هذا جيداً، إذ أنه كان واحداً من أقسى المتجبرين عليه.. ولم يكن ممكناً العثور على علاج للولد المعتل وكان يبدو أنه سيموت لكن أويكا من يوم تعرفه على الرجل الفهد، قد تعلم موهبة المعالجة، و ما إن وضع يديه على زيبوت حتى شفيَ هذا الولد المريض.

لم يستطع الناس في القرية أن يصدقوا أن الولد المهزول، أويكا يمكن أن تكون لديه أية قوى على الإطلاق، لكن بعد هذا أخذ المرضى يقصدونه للعلاج، فكان يشفيهم من عللهم مرةً بعد أخرى.

وفي إحدى الليالي في أثناء النوم ظهر الرجل الفهد للولد في الحلم وقال:

-«لقد اجتزتَ الاختبارات الكبيرة، فقد بقيتَ بعيداً عن الشجرة الحالمة، كما أخبرتك.. ثم أظهرت العطف حيال عدوِّك، والآن سأعلمك مزيداً من القوى كي يمكنك أن ترعى قومك كما كنتُ أفعل في ما مضى».

وفي تلك الليلة وكل ليلة بعدها، كان أويكا يزور الرجل الفهد في أحلامه وتعلم الولد المزيد من طرائق المعالجة السرية والحكمة عند قاعدة الشجرة.

وقد بنى جده له بيتاً خاصاً، مكاناً ينام ويحلم فيه وراحا معاً يزرعان الحديقة بنباتات علاجية خاصة، وأصبح زيبوت- ذلك الولد الذي كان عدوه والذي أنقذت حياته على يديه- أقرب صديق ومعاون له، إذ لم يكن بدنه فقط الذي عولج بل والأهم من ذلك كله أن قلبه قد أصبح أكثر عمقاً وامتلاءً مثل نهر الأمازون العظيم خلال موسم الأمطار.

وبمرور الوقت، أخذ أويكا يرى أشياء جميلة في رحلة أحلامه، أشياء لم يكن قد رآها من قبل أبداً- أشياء اعتقد بأنها ستكون هدايا رائعة لصديقه زيبوت وجده- قلائد مريّشة على نحو متألق، وعصابات للرأس، وأسورة. وراح، في حياته الصاحية، يصنع هذه الأشياء الجميلة مستخدماً الريش البرّاق والقواقع، والجوز والعظام، وفرو الحيوانات، وكانت أحلامه تلهمه وتُريه فكَراً جميلة لم يكن هناك في قبيلته مَن رآها مَن قبل على الإطلاق.

لكن المؤسف أن بقية أولاد قبيلته حين رأوا هذه النفائس التي صنعها، شعروا بالحسد.. وبدلاً من أن يطلبوا من الولد المبدع أن يريهم كيف صنع هذه الأشياء، قالوا: إنه يعتقد بأنه أفضل منّا! وبدأوا يكيدون له بين أنفسهم من أجل أن يجدوا طريقة لقتله.

لكن كيف؟

قرروا الانتظار حتى يبدأ يأكل، و أخفوا أنفسهم قرب بيت أويكا، وعند آخر المساء، عاد هو من النهر مع جده، بسمكٍ كانوا قد اصطادوها لعشائهم، وكان الأولاد ينتظرون بهدوء بينما راح أويكا يُعدُّ السمكة.. وبعد ذلك حين جلس ليأكل مع جده أخذ أعداؤه يزحفون خارجين من الأدغال.

وفي اللحظة التي كان أحدهم على وشك أن يرفع فيها هراوتَه، هبَّ أويكا واقفاً على نحو مفاجئ! لقد تعلّمتُ أموراً كثيرة في عالمِ الأحلام! ويمكنني حتى أن أرى من دون أن أستدير!

وعندئذ هوب! وفي رمشة عين اختفى! هو وجده وزيبوت، وبيتهم وحديقتهم- اختفوا جميعاً عن النظر.. وبقي أعداؤه وحيدين في حقل خال!

كان أويكا قد أخذ زيبوت وجده وكل ممتلكاتهم عميقاً تحت الأرض.. ثم ظهروا ثانيةً في مكانٍ جديد!

وقد أصيبَ الكبار في القبيلة بالاهتياج الشديد للعثور عليه، إذ لم يكن هناك مَن يمتلك قدراته على المعالجة من الأمراض.. وهكذا أرسلوا جماعةً من الكشافة ليجدوه.

وعندما عثروا عليه بعيداً، توسّلوا إليه كي يرجع إلى القبيلة، وأخيراً وافق على القيام بذلك، ولفترة من الوقت سارت الأمور بشكل طيب، لكن لَم يمر وقت طويل حتى راح أعداؤه يتآمرون مرةً أخرى.. واقترحوا أن يقيموا وليمةً كبيرةً على شرف أويكا، لكنها مرةً أخرى كانت مكيدة فقد زحف تغلل أحدهم، وما إن رفع هراوته فوق رأس أويكا، حتى كان أويكا مستعداً، فقد كان باستطاعته أن يرى حتى ما وراء ظهره، وهكذا أصابت الهراوة صخرةً كبيرة ملقاةً على الأرض وشقّتها.

وفي داخل ذلك الشقّ مضى أويكا، وجدُّه، وزيبوت وكل ما لديهم من ممتلكات! واختفوا في الأسفل داخل شق تلك الصخرة، فقط صوته جاءهم للمرة الأخيرة، وهو يرعد نحوهم من أعماق الصخرة قائلاً:

- «هذه المرة لن نعود، إذ أنكم لم تثمّنوا ما أعطيتكم!».

وعندئذٍ ذهبوا إلى الأبد.

شجرة عيد الميلاد.. تراثياً

إعداد:عادل العامل

يرتبط عيد الميلاد أو رأس السنة، بجملة من الرموز والإشارات والتقاليد الموروثة الضاربة في القدَم لدى شعوب مختلفةٍ ، وحتى من ديانات شتى.

ومن هذه الرموز شجرة عيد الميلاد، التي جاءت إلى الولايات المتحدة، كما يقال، من ألمانيا، غير أن أصلها ليس هناك، وإنما تعود بجذورها إلى مصر، فقد كان المصريون القدماء يقيمون احتفالات تكريماً لإلههم حورس، ابن إيزيس (إلهة الأمومة و الخصب) وكان رمزهم لهذا شجرة نخيل ذات ١٢ فرعاً أو سعفةً (واحدة لكل شهر من شهور السنة) وكان الرومان في مهرجان سانترناليا Santrnalia يزينون الأشجار بالشموع، ويأتون أيضاً بأغصان أكاليل الغار إلى بيوتهم يوم ١/كانون الثاني.

أما شجرة ألمانيا فليست شجرة حقيقية، بل تركيبٌ هرميّ الشكل مغطى بأغصان دائمة الخضرة، ويُفترَض أن هذا وليد فكرة (شجرة الجنة) (وهي شجرة تَنُوب مزينة بالتفّاح) استُعملت في مسرحيات أسرار النصرانية القرْوَسطوية، وهي شجرة ترمز لقصة آدم وحواء: فعندما غادر آدم الجنة، أخذ معه برعماً من (شجرة المعرفة)، ومن ذلك البرعم نَمت في ما بعد الشجرة التي أخذ منها الخشب للصليب الذي صُلِب عليه المسيح.

ومع أن أشجار عيد الميلاد موجودة في كل مكان - في المدارس، والحوانيت، والمتنزهات، والبيوت، والمباني الرسمية، والمكتبات، والأماكن العامة المفتوحة، لكن ليس لها في أمريكا ذلك الدور الكبير الذي تتمتع به في ألمانيا، وهي توُضَع في أمريكا بأعلى نقطة من مبنى تحت الإنشاء، مهما بلغ ارتفاعه، وهذا الرمز المهني يُعد مذكراً بالعمل الذي يجري داخل بناء جديد والناس الذين يُنجزونه باعتّباره (معجزةً حديثة).

وهم، في أمريكا، يضعون هدايا تحت تلك الأشجار، أما في ألمانيا، فالشجرة هي النقطة البؤرية، تُزيَّن خلف الأبواب المغلقة ويتم إحضارها في مناسبة عيد الميلاد.. وليس هناك شخصٌ فقير (أو متذمر) إلى حدّ أن لا تكون لديه شجرة عيد ميلاد في ألمانيا، وإذا لم يكن هذا قادراً لسبب ما (المرض مثلاً)، فإن شخصاً ما سيقوم بإعطائه واحدة.

أما النجمة التي تكون في أعلى الشجرة، فهناك روايات مختلفة بشأنها، فيقال إن الأوائل من البابليين، والمصريين، والصينيين واليهود، كانت لهم جميعاً نجوم تتميز بأهمية خاصة بالنسبة لأديانهم، غير أن النجمة التي تعلو أشجار القسم الأعظم والخاصة بعيد الميلاد تمثّل (نجمة بيت لحم).. (في بعض الحالات، يرى آخرون أنها تمثّل (نجمة الشمال)، كما هي الحال لدى البحّارة)،

لكنك إذا وضعتها هناك لتمثّل نجمة بيت لحم، فعليك أن تعلم أن بعض العلماء يرون أنها في الأرجح نجمة سوبر نوفا super Nova (نجم يتعاظم ضياؤه فجأةً ثم يخبو في بضعة شهور أو بضع سنين)، بينما يعتقد غيرهم بأنها شهاب أو مذنّب، وهناك مَن يقول إنه في عام ٦ قبل الميلاد اقتربت كواكب المريخ والمشتري وزحل كثيراً من بعضها مشكّلةً مثلثاً شديد اللمعان يُعرَف ببرج الحوت، ربما كان هو (نجمة بيت لحم)؟ إذا صحَّ ذلك، فإنه و لابد يغيِّر تاريخ ميلاد السيد المسيح.

صروح رائعة الجمال

النواعير

عبد الرحمن جمعة الهيتي

دوالي النواعير.. صروح جميلة تمتد من الجرف الى داخل النهر ثلاثين متراً وترتفع ستة أمتار وقد تزيد الدالية بناء رائع هندسته وشكله الخارجي المهندس الذي صممها في غاية الإبداع والإجادة في البناء فضاءات متنوعة لكل ناعور أربع فتحات اثنتان أمامية السفلى تعرف بالسيب لدخول تيار الماء والعليا لربط الناعور والفتحات الجانبيتان لوضع محور الناعور (العابر).

مجموعة الفتحات تأخذ أقواس متناظرة ومجموعتها تشكل تكراراً متناغماً خاصة عند واجهة الدالية والتي تسمى (صدر الدالية)، اما جهتها الخلفية والتي تعرف بـ(الدوارة) فهي رائعة في تصميمها وتناظرها إضافة الى الصناديق التي تلتقي عندها محوري الناعورين.

وقد تبنى غرفة صغيرة (غرفة الرحى) وهذه الرحى يحركها ناعور يسمى ناعور الرحى، إضافة الى كونه ناعوراً لرفع الماء من النهر الى البساتين التي يرويها.

تتقابل كل دالية مع أخرى وتتواصل بجسر حجري لحضن الماء ودفعه باتجاه فتحات النواعير كي تدور، وفي كل جسر حجري ثلاث فتحات أحداها وهي الكبيرة الباب، والأخرتين والتي تكون عند النواعير تسمى (الفتحات).

أما النواعير فمفردها ناعور وهو قوس من الخشب بقطر ثمانية أمتار ينصب على الأرض بشكل بدائي وإبتكار إنسان بسيط كان حاجته الى الماء، لسقي مزروعاته فوجد الفكرة الرائعة في طريقة تشكيل صلبان (النصف الوتر) لدائرة تزيد على سبعة أمتار او أكثر ثم مجموعة الاخشاب البسيطة المأخوذة من أشجار البساتين ويربط الواحد بالآخر بوساطة المسامير الخشبية والتي تربط عليها المراوح المعمولة من جريد النخل.

والقواقة الأواني الفخارية المثبتة على قوسي الناعور لرفع الماء وصبه في حوض طوله مترين ليجري الى عواميد وينساب جذلاناً الى بساتين هيت الطيبة التربة اللذيذة المحصول.

دوالي النواعير شيدت في مناطق منسوب النهر أوطأ من الأرض الزراعية وخاصة في أعالي الفرات حتى سوريا حيث بنيت النواعير بشكلها البسيط وهي أقدم من النواعير السورية.

وربما أستمد صانعها من النواعير العراقية برغم بساطتها ولقد وفد الى هيت وأعالي الفرات سياح من مختلف أنحاء العالم منذ قرنين وكتب عنها الكثير في كتب ومجلات وأشادوا بإبداع إنسان وادي الرافدين.

ولقد شاهدنا في خمسينيات القرن العشرين أعداداً من السياح كانوا يتطلعون الى النواعير بعين الإعجاب والإكبار ويعدونها صرحاً معمارياً وآلة معمولة من أغصان الأشجار المختلفة الأطوال والأقطار تعمل بشكل ميكانيكي رائع، إضافة الى المناظر الخلابة المتكونة من حنو أشجار الرمان والتين والنخيل على سواقي الماء المنسابة من الصرح المعماري الجميل.

الأمم المتحضرة تنظر بعين الإعجاب والتقدير والعناية الى ما هو قديم في بلدانها وتتباهى لكونها ذات عمق تاريخي وحضاري.

لكننا في هيت نقف مندهشين أمام هذه الصروح الرائعة الجمال والأداء الميكانيكي المتطور قياسا الى ما كان عليه الإنسان سابقاً.. نقف لنرى تهاوي دوالي النواعير الواحدة تلو الأخرى ولا نستطيع أدامتها وشكلها وعملها الرائعين برغم تعاقب الحكومات التي لم تولي عناية لهذه النواعير.

اننا نطالب الدوائر المعنية في وزارة الثقافة والتراث في إعادة بناء دوالي النواعير لإبقائها شاهداً على عظمة إنسان وادي الرافدين وأعالي الفرات.